خليص في التاريخ المنسي (9)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

يشغل (المواليد) حيزا كبيرا في التركيبة السكانية لحارة المغاربة ، ليس بكونهم مكونا منفصلا ؛ بل جزءا من النسيج الاجتماعي .

وهي حالة فريدة في خليص - بالمقارنة مع سواها في أماكن أخرى ؛ حيث يعيش هذا الفصيل (دونية) في التراتيبية الإجتماعية . وحتى تقرأ هذه الحالة من منظور تاريخي واجتماعي عليك أن تستحضر بعض المصطلحات : التي تشير إلى حالات مختلفة مع وجود اختلافات في المعنى والإصطلاح .

فإن كانت بعض المصطلحات تشير إلى حالة عامة عند بعض الأفراد؛ حيث يكون الشخص لا يمتلك أي شيئ . لكنه قد يمتلك بعض الأشياء أو الأراضي مقابل خدمات ، أو ضريبة معينة . إذا استحضرت هذه المعاني فلن تجد في لفظ (المواليد) مايشير إليها ؛ ربما تشاطرها بعض المجتمعات التسمية ، لكنها لا تبلغ درجة الاحتواء والتماهي والمكانة والإندماج والمساواة التي يحظى بها (مواليد خليص) في البنية الإجتماعية .

ومن المعيب في الأخلاق والخادش للمروءة ، استدعاء مسميات او مصطلحات، ولعلك تجد في مصطلح (المواليد) حالة إنسانية تلمس في روحك الحبل السري للولادة ؛ كأنما المذكورين من أهل بيتك .

وقد كانت تطلق على أبناء الأسبانيات المتزوجات من العرب فترة الفتح الإسلامي للأندلس ؛ حتى الأسماء = عيد - موسم - عطيه - حسين - عابد - محمد - عبدالله - علي - راجح - سعيد - ثلاب - عائض - عاتق - نادر - ناهر ... إلخ) تجد فيها اختيارا غير ما ألفته العرب ؛ فقد كانت " غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزائن خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه ؛ إما من الوحوش كأسد ونمر ؛ وإما من النبات كحنظلة ؛ وإما من الحشرات كحية وحنش ؛ وإما من أجزاء الأرض كفهر وصخر "

تمددت سوق النخاسة في المملكة العربية السعودية وخاصة إبان تبعية الحجاز للإمبراطورية العثمانية . وكانت جزءا من النسيج الاجتماعي والإقتصادي للمنطقة . ثم بدأت في الإنحسار نتيجة التحولات الإجتماعية ، والتشريعات الدولية ، وتغير في الأنساق الثقافية ؛ حتى تم إلغاؤها بمرسوم ملكي من جلالة الملك فيصل في ٦ نوفمبر ١٩٦٢ م الموافق ٨ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هجرية .

بقي (المواليد) يشكلون نسيجاً مجتمعياً مع جيرانهم يراعون حاجاتهم ، ولم ينقصوهم تقديرهم ، ولم يخلوا بشروط التعامل في فرائض الواجب وتكاليف المعاش . بقوا قريبين بكامل حريتهم المكفولة قانونا وأخلاقيا ؛ غير ملزمين بمجانية الخدمة إلا مارأوه يحقق منفعة ، أو يضمن أمانا وجوديا لعائلاتهم .

شارك (المواليد) في النشاط الإقتصادي ، وقد صنعوا تكتلا موازيا ومكملا للأنشطة الإجتماعية ، وخاصة ، مايتعلق بالترفيه كإحياء الأفراح وفن الطبخ ؛ حتى أصبحوا يتحكمون في تحديد مواقيت المناسبات كمثل الفنادق والقصور الآن - تتطلب سابق حجز .

وتعزز هذا التكتل - بقبول اجتماعي ، ومباركة الشريف تركي الحارثي محافظ محافظة خليص آنذاك ، وموافقة حكومية رسمية - حتى أخذ طابع (القبيلة) يمثلها شيخ منهم (الشيخ هزاع المولد) ينوب عنهم في الدوائر الحكومية . والمناسبات الوطنية التي تجمع مشايخ خليص ، ولا يفضلونه إلا بقدر مايمنحهم من أسبقية ، وحشمة تجذرت في طرائق التعايش ، ونمت كمداخيل حساب التوفير ...

أخيراً : ليس لدينا شهادة - سوى استثناءات شحيحه - بمثابة دليل للإذلال الإنساني بخليص . صحيح ، ترسبت بقايا إشكالية اللون في الوعي الباطني على مستوى النخب والعامة من زمن جاهلي ، وبعضها تسلل كشعور مراوغ - وبريء - خارج أقواس المعلن من الحكاية : عندما عادت (إحداهن) من بلد الإبتعاث بمؤهل عالي كتب (أحدهم) إلى ولده : " لم تكن أمك حرة يوما مثلما هي اليوم " !!!

محمد علي الشيخ